

كتاب قرأته مقالات العلامة المحدث محمد راغب الطباخ

لم يقدر الله تعالى لي أن أرى الشيخ محمد راغب الطباخ، أو أجتمع به أو أحظى بالأخذ عنه، أو أحضر دروسه في الحديث أو السيرة أو التاريخ الإسلامي، أو أنال الإجازة التي دونها في نهاية كتابه القيم (الأثبات الحلبية) التي كان يطلعني عليها جلّ شيوخي الذين تلقيت عنهم، ودونت ترجماتهم، ذلك لأنني ولدت في العام الذي اختاره الله سبحانه إلى جواره، وما سمعت بالرجل إلا بعد أن تجاوزت ثلاث عشرة سنة من عمري، يوم أن انتسبت إلى الثانوية الشرعية (المدرسة الخسروية).

دخلت الثانوية الشرعية، فإذا باسم الشيخ راغب الطباخ مالى الدنيا وشاغل الناس وشيوخنا منقسمون فيه إلى فريقين: فريق يجله ويعلى من مقامه ويدرجه في قمة العلماء الأعلام المجددين، وفريق يقف عند ذكره ممتعضاً قائلاً: الرجل مات غفر الله له، يومها لم أكن أعرف سبب تضارب آراء شيوخنا فيه، ولكنني كنت أميل إلى رأي شيوخنا الذين يجلونه ويقدرونه، لا أدري لماذا؟ ربما نكاية ببعض شيوخنا الذين كنت لا أرتاح لدروسهم.

نعم لم يقدر لي أن أتعرف إلى الشيخ الطباخ، أو ألتقي به، لكنني أكّد لقارئي الكريم إنني أعرف الرجل معرفة تكاد تكون معرفة من التقاه، وحدثه وأخذ عنه، ذلك أنني اطّلت على جلّ ما كتب الرجل من كتب ومقالات ورسائل، بل لقد قرأت كتابه الكبير (إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء) كله مرتين، وأعدت قراءة بعض فصوله أكثر من ثلاث مرات، وتتبع أخباره وأحواله من شيوخ وأساتذتي الذين عاصروه وتتلّمذوا عليه وأخذوا عنه، أخص منهم شيخنا الشيخ محمد زين العابدين الجذبة، وأستاذنا الدكتور بكري الشيخ أمين، والشيخ أحمد سردار، الذي كان معجباً به أيما إعجاب، والشيخ أحمد قلاش، والشيخ محمد عثمان بلال، والشيخ محمد درويش خطيب، أما شياخي الشيخ محمود فحام، فقد كان يقطع معي سهرات طويلة وهو يحدثني عن شيخه الطباخ وعلومه الجمّة وذكائه (المنقطع النظير)

وقرأت جل ما كتب عنه، والتقيت بنجله الشهم الكريم الأستاذ محمد يحيى الذي أكرم وفادتي عليه في منزله، ولم يبخل بتزويدي بكثير من الوثائق المهمة عن حياة والده، ومنها ترجمة بخطه وكثير من الوثائق المتعلقة بالمدرسة الخسروية بشكل خاص، وذلك عندما كنت أعد لكتابي علماء من حلب، وكتابي عن المدرسة الخسروية وكتبت له ترجمة وافية في كتابي (علماء من حلب في القرن الرابع عشر)، وشاركت في بعض الندوات واللقاءات وورشات العمل، التي أقيمت للحديث عنه.

ومع ذلك فقد كنت أشعر بأنني بحاجة إلى المزيد من المعرفة عن الرجل وأثاره العلمية ومقالاته المنتثرة في بطون المجالات والصحف القديمة، التي لم أستطع الوصول إليها، رغم ما بذلت من الجهد للاطلاع على بعض هذه المقالات.

وعندما علمت بأن الأخ الحبيب الأستاذ مجد مكي - حفظه الله - يعمل على جمع آثار الرجل ومقالاته وما كتبه في مقدمات الكتب التي نشرها في مطبعته وغيرها كانت فرحتي كبيرة جداً، ورحت أترقب صدور الكتاب، وألحُ في السؤال عنه كلما مرَّ ذكر الرجل أو أثر من آثاره.

وأخيراً صدر الكتاب بعنوان

مقالات العلامة المؤرخ المحدث محمد راغب الطباخ وبحوثه في التاريخ والتراث والأدب والتراجم ومقدمات الكتب التي حققها

جمعها ورتبها وقدم لها وعلق عليها

مجد أحمد مكي

وتفضّل الأخ الأكرم الشيخ مجد بإهدائي نسخة منه، أرسلها لي مع أخيه الشاب المهذب السيد فهد حفظه الله.

أخذتُ الكتاب شاكراً، وأسرعت إلى قراءة المقالات، التي لم أستطع الوصول إليها، عندما كنت أبحث في تاريخ الرجل وآثاره، والتي كنت بأشد الحاجة إليها عندما كنت أكتب كتابي (التعليم الشرعي ومدارسه في حلب في القرن الرابع عشر) وكان فيه بحث عن المكتبات الحليّة، حينها لم أستطع الوصول إلى مقالات الطباخ التي أريد، فاكثفت بما كتب الرجل في تاريخه الكبير.

قرأت الكتاب، وقدرت الجهد الذي بذله مؤلفه في جمعه وتبويبه وإخراجه، فأحببت أن أعطي الإخوة المهتمين بالعلامة الطباخ وآثاره، والذين لم تمكنهم ظروفهم من الاطلاع على الكتاب فكرة مختصرة عن هذا الكتاب القيم وجهد المؤلف فيه.

يقع الكتاب في ١١٣٣ صفحة من القطع المتوسط، وقد قسمه المؤلف إلى جزأين، قدم في الجزء الأول بعد المقدمة بحوث الطباخ ومقالاته الإسلامية وتحقيقاته التاريخية والتراجم، التي ترجم لها في مقالاته، ثم المقالات التي تحدث فيها الطباخ عن الكتب المخطوطة والمطبوعة.

وخص الجزء الثاني لأبحاث الشيخ راغب في الأدبيات واللغويات، ثم ما أورده في مقدمات الكتب التي حققها وطبعها، ورسائله المحققة التي نشرها في بعض المجلات، وختم الجزء الثاني بفهارس مفصلة للآيات والأحاديث والآثار والأعلام والقوافي الشعرية و عناوين الكتب والأماكن ومحتوى الكتاب.

تحدث المؤلف في مقدمته عن صلته العلمية بالشيخ الطباخ، وأنه شيخ لأكبر شيوخه، وهما: الشيخان الجليلان الشيخ مصطفى الزرقا، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة - رحمهما الله - ثم عدد عدداً من شيوخه الذين أخذوا عن الشيخ الطباخ، وأن عمله في هذا الكتاب كان وفاء لشيوخه وشيوخهم.

وكان المؤلف قد جمع ما للطباخ من آثار علمية ومقالات تاريخية، مما نشر في بعض المجالات، مع ترجمة موسعة للشيخ، متمنياً أن يبسر الله له نشرها في كتاب.

وتحدث المؤلف عن الندوة العلمية التكريمية التي أقيمت في المكتبة الوقفية في حلب في شعبان، من سنة: ١٤٣١هـ، وأنه لم يتيسر له حضورها أو المشاركة فيها، لكنه اطلع على ما قدم فيها من أبحاث، فلم يجد من اهتم بذكر آثار الشيخ المتناثرة في بطون المجالات، وهذا ما حداه إلى الإسراع في إصدار كتابه هذا.

واجتهد المؤلف في جمع ما تفرّق من مقالات الشيخ الطباخ وبحوثه المطبوعة، وأعاد النظر فيها، وما تضم من مقالات نادرة وأبحاث مفيدة، فرأى (إن مثل هذه الذخيرة العلمية لا ينبغي أن تبقى في المجالات مبددة، وفي الزوايا مهملة).

وقد بلغ عدد المقالات التي جمعها المؤلف أكثر من ستين مقالة وبحثاً، بالإضافة إلى بعض مقدمات كتبه النادرة، ثم رتب هذه المقالات والبحوث حسب الموضوعات، ثم أوردتها في كل فصل حسب تسلسلها التاريخي، وقسمها إلى فصول، فجاءت على الشكل التالي:

الفصل الأول: بحوث ومقالات إسلامية.

الفصل الثاني: مقالات وتحقيقات تاريخية.

الفصل الثالث: في التراجم.

الفصل الرابع: في المخطوطات والمطبوعات.

الفصل الخامس: في الأدبيات واللغويات.

الفصل السادس: في مقدمات الكتب التي حققها وطبعها في مطبعته العلمية.

الفصل السابع: في الرسائل المحققة التي نشرها في بعض المجالات.

بدأ المؤلف كتابه بالتعريف بهذه المقالات، بعد أن قدم عرضاً للمجلات التي راسلها ونشر فيها الطباخ أبحاثه ومقالاته، ثم ذكرها مرتبة حسب تسلسل تاريخها، وقد علل المؤلف سبب اختياره ترتيبها حسب ورودها تاريخياً بقوله: (فمراعاة تاريخ النشر تجعل القارئ ينتقل في موضوعات متنوعة، وهو أبعد عن الملل، ويطلع القارئ على تطورات قدرات الشيخ البحثية، ومعرفة تاريخه وسيرته الذاتية، وتاريخ البلد وعلاقته بالمجتمع، ومعرفة اهتماماته الأخيرة)، ثم ذكر اسم المجلة التي نشرت فيها وتاريخ نشرها.

فكانت المقالة الأولى (المياه في حلب) المنشورة في جريدة (ثمرات الفنون) العدد (١٦٠٩) السنة: ٣٣ (١٣٢٤هـ - ١٩٠٧م)، وجاءت المقالة الأخيرة: كتب ضبط الأسماء والألقاب (حول ما كتبه الأستاذ حمد الجاسر على مقدمة المنجد على كتاب طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب)، ونشرت في مجلة "مجمع اللغة العربية" الجزء

الثاني من المجلد السابع والعشرين (١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م)، ونشرت هذه المقالة بعد وفاة الطباخ بعام، وبين المقالتين خمس وأربعون سنة، وثلاث وسبعون مقالة منشورة في مختلف الصحف والمجلات.

ثم تناول كل مقالة من هذه المقالات مرتبة حسب الفصول المبينة آنفاً، فلخص محتوى المقالة، ذكراً بعض الجمل والعبارات التي أوردها الشيخ الطباخ فيها، شارحاً ما غمض من عباراتها ومفرداتها، معلقاً في الحواشي الكثيرة والمفيدة على ما يراه بحاجة إلى التعليق، ولم يغفل المؤلف ذكر مواضع الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية الواردة في ثنايا المقالات والأبحاث، التي جمعها المؤلف، واعتنى بها، وضبط ما ختل في بعض الأشعار الواردة في المقالات، ونسب ما لم ينسب منها إلى قائله، وعرف به إن لم يكن معرّفاً في المقال، أو معروفاً مشهوراً، وأشار إلى المصادر التي اعتمدها في ذلك، مع التعريف بالمجلة التي ورد فيها المقال، والترجمة لصاحبها، وذكر رقم العدد وتاريخه، وربما تحدّث عن تناول هذه المجلة بالبحث، ففي حديثه عن مجلة (الجامعة الإسلامية) مثلاً، جاء في الحاشية رقم (٣) ينظر بحث (مجلة الجامعة الإسلامية دراسة وصفية تحليلية)، وهو بحث تمهيدي لمرحلة الماجستير في الدراسات الإسلامية في كلية الإمام الأوزاعي ببغداد، قدمه الأستاذ أحمد محمد الخطيب، سنة: ١٤٢٧ هـ = ٢٠٠٦ م في ٤٢ صفحة.

كما ترجم المؤلف للعلماء الذين ورد ذكرهم في المقال، مع ذكر المصادر التي اعتمدها في الترجمة، وذكر الصفحة والجزء من الكتاب الواردة فيه، ولم يغفل المؤلف التعليقات والحواشي التي أوردها الشيخ الطباخ في مقالاته بل لقد ذكرها مشيراً إلى أنها من تعليقات الطباخ وحواشيه بقوله: أهـ (الطباخ).

أما عمله في الكتب النادرة التي وجدها الشيخ الطباخ مخطوطة في بعض المكتبات الحلبية، فعمل جليل وجهد مبارك، رأى المؤلف أن ينشر في كتابه هذا مقدمات بعض الكتب التي حققها ونشرها في مطبعته العلمية حسب تسلسل صدورها، مثل كتاب (الطب النبوي) و(معالم السنن) و(الإفصاح عن معاني الصحاح) و(العقود الدرية في الدواوين الحلبية).

ونشر المؤلف صوراً لأغلفة هذه الكتب، وصوراً لبعض الصفحات من المخطوط الذي اعتمده الطباخ، وذكر في الحواشي تاريخ الطبعة والمطبعة التي تمت بها، كما ذكر ما استحدث بعد طبعة الشيخ الطباخ من الطباعات، ومن قام بتحقيقها واعتنى بها وما وجد من مخطوطاتها بعد طبع الطباخ لها وفي أي المكتبات وجدت فمثلاً: جاء في الحاشية رقم (٢) ص. ١٩٠ في تعليقه على كتاب دمية القصر وعصرة أهل العصر، قال الدكتور محمد التونجي في خاتمة تحقيقه لـ "دمية القصر" ص ١٥١٠: {وهي نسخة كثيرة النقص في التراجم والاستشهاد، ففي القسم الثاني: أورد ترجمة ستة وعشرين شاعراً في حين أن الأصل يحوي تسعة وستين، ويحوي القسم السادس ثلاثاً وتسعين ورقة، وفي نسخة السليمانية منه مئة وثلاث وخمسون، ناهيك بالنقص في المضمون والتشويه في الأبيات ... أما تاريخ نسخها واسم ناسخها فغير معروفين، ولا مذكورين فيها ويرجح الشيخ راجب أنها كتبت في

القرن الحادي عشر الهجري تبعاً لنوع خطها وعنايتها ببعض الزخرفة، والجيد في هذه النسخة أمران أولهما: جمال الخط وكمال العرض، وثانيهما: أن النسخة مختومة بأربع وعشرين ورقة من ديوان الباخرزي.

أما الفهارس الفنية التي ختم بها المؤلف كتابه فقد جاءت غاية في الدقة وحسن الترتيب والتبويب، وهي فهاص مفيدة للباحث المهتم ناهيك عن القارئ العادي، وقد جاءت على الشكل التالي:

١. فهرس الآيات القرآنية الكريمة، ذكر فيه اسم السورة ورقم الآية ثم الجزء ورقم الصفحة مرتبة حسب ورودها في القرآن الكريم.
٢. فهرس الأحاديث النبوية الشريفة مرتبة حسب الأحرف الأبجدية مع ذكر الجزء والصفحة.
٣. فهرس الآثار مرتبة حسب الأحرف الأبجدية مع ذكر القائل ورقم الجزء والصفحة.
٤. فهرس الأعلام مرتبة حسب الأحرف الأبجدية مع الإشارة إلى مكان ورودها في الكتاب في الجزء والصفحة.
٥. فهرس القوافي الشعرية ذكر فيه صدر البيت والقافية والوزن والشاعر وعدد الأبيات ومكان ورودها في الجزء والصفحة.
٦. فهرس الأماكن مرتبة حسب الأحرف الأبجدية مع الإشارة إلى مكان ورودها بالجزء والصفحة.
٧. فهرس المحتويات التفصيلي وقد تحدثت عن الفهارس الأنفة الذكر لأصل إلى الكلام على هذا الفهرس الدقيق والمهم جداً، فقد جعل المؤلف لكل فقرة في المقالات الوارد في الكتاب عنواناً يلخص ما في هذه الفقرة من الأفكار والمعاني بشكل دقيق، يفيد الباحث بله القارئ العادي، وقد تمنيت لو أن الباحث جعل عنوانات (عناوين) هذه الفقرات في صلب المقالات مع تمييزها بالخط والإشارة إلى أنها من عند المؤلف، لوفر على القارئ الكثير من الجهد والتتبع لأفكار الشيخ الطباخ في هذه المقالات وقد جاءت هذه المحتويات مرتبة حسب ورودها في الكتاب مع ذكر الجزء والصفحة. وبعد؛ فإن ما قدمته من تعريف عن هذا الكتاب الماتع بما حوى من مقالات نادرة للشيخ الطباخ لا يعني أنني أعطيت هذا الكتاب حقه من التعريف والبيان، إن هي إلا انطباعات قراءة أولى، وملاحظات قارئٍ منحاز إلى صاحب المقالات وجامعها والمعنتي بها مؤلف الكتاب، وفقه الله وجزاه كل خير

وكتبه

محمد عدنان كاتبي

مَقَالَاتُ

الْعَلَامَةِ الْمَوْخِجِ الْمُحَدِّثِ

محمد ربيع الطيب

ومعونه في التاريخ والتراث والأدب والتراجم
ومقدمات الكتب التي حققها

جمعيها ورثتها وقدم لها وعلس عليها

محمد أحمد مكي

الجزء الأول



هدية وتحية إلى أخي الحبيب
العالم الأديب الباحثة المؤرخ
الاستاذ عدنان كاتبي الجلي
حفظه الله ورعاه .
رجاء دعواته الصالحة ومراحمته الطاهرة

لراجبيل :

بجد مكي

١٤٣٨

حبة في يوم الاثنين ١٥/شوال/

الموافق ١٠/٧/٢٠١٧



مَقَالَاتُ

العلامة المؤرخ المحدث

محمد اغرب الطبخ

ومجموعته في التاريخ والتراث والأدب والتراجم
ومقدمات الكتب التي حققها